

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الرابعة

وسائل يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب الأخلاق الحسنة.

1 - تصحيح العقيدة:

فالسُّلُوكُ ثَمَرَةٌ لِمَا يَحْمِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَعْتَقَدٍ، فَأَنْ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ أَخْلَاقًا؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَإِنْ حُسْنَ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ دَرَجَةَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ".

2 - الدعاء:

كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ خَطَايَايَ كُلَّهَا، اللَّهُمَّ أَنْعِشْنِي وَأَجْبِرْنِي وَاهْدِنِي لِصَالِحِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا وَلَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ".
وَمِنْ دَعَائِهِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ".
وَفِي الْحَدِيثِ: "اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَن زَكَّاها".

3 - المجاهدة:

وهي أخذ النفس ببذل الطاقة، وتحمل المشقة، في دفع المضرة، وتحصيل المنفعة. فالسالك طريق الإصلاح يسعى بمجاهدة نفسه لتحقيق هدفه، والوصول بها إلى مراتب العلا، وعليه أيضاً أن يجاهد كل ما يقطع عليه الطريق بمغالبتة

4 - المحاسبة:

وذلك بتصفح أفعاله، ونقد النفس إذا ارتكبت خلقاً ذمياً، وحملها على ألا تعود إليه مرة أخرى، مع أخذها بمبدأ الثواب، فإذا أحسنت أراحها، وأرسلها على سجيبتها بعض الوقت في المباح، وإذا أساءت وقصرت، أخذها بالحزم والجد، فالمحاسبة تكميل لمقام التوبة.

5- التفكير في الآثار المترتبة على حسن الخلق:

على المرء أن يستذكر دائماً ويحتسب ثواب حسن الخلق. عن النّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ".

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أثقل شيء في الميزان حُسنُ الخلق".

6 - النظر في عواقب سوء الخلق:

و من عقوباتها: أنَّها تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصغار، فتسلبه اسم المؤمن، والبر، والمحسن، والمتقي، والمطيع، والمنيب، والولي، والورع، والصالح، والعابد، والخائف، والأواب، والطيب، والمرضيِّ ونحوها.
وتكسوه اسم الفاجر، والعاصي، والمخالف، والمسيء، والمفسد، والسارق، والكاذب، والخائن، والغادر وأمثالها.

7 - علو الهمة:

الهمة لغة: "هي بالكسر: أول العزم، وقد تطلق على العزم والهمة: توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحية إلى جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره.

فمن علت همته، وخشعت نفسه؛ اتصف بكل خلق جميل، ومن دنت همته، وطغت نفسه؛ اتصف بكل خلق رذيل.
قال ابن السَّمَّك: هِمَّةُ الْعَاقِلِ فِي النِّجَاةِ وَالْهَرَبِ، وَهِمَّةُ الْأَحْمَقِ فِي اللَّهْوِ وَالطَّرْبِ .

من أمثلة ساقطي الهمة:

قال الفضيل بن عاصم: بينما رجل يطوف بالكعبة إذ بُصر بامرأة ذات جمال فأفتنته وشغلت قلبه، فأنشأ يقول: ما كنتُ أحسبُ أن الحب يعرضُ لي ...
عند الطوافِ ببيتِ اللهِ ذي الستر
حتى ابتليتُ فصار القلبُ مختبلاً ... في حبِّ جاريةٍ

حوراء كالقمر

يا ليتني لم أكن عاينتُ صورتها ... لله ماذا توخاني به

بصري

هذا نموذج واحد لمن سقطت همته، وساء خلقه، في أقدس بقعة في الأرض، وقد ابتلي بسوء النظر.

8 - الصبر:

هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، كحبس النفس عن الجزع والتسخط، والشكوى، وهو أنواع ثلاثة: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله تعالى، وصبر على قضاء الله وقدره .

قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران: 200]. كما وان الصبر يمكن ان يقسم الى :

صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله.

فالأول: صبر الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المُصَبِّر، كما قال تعالى: { وَاصْبِرْ

وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ } [النحل: 127].

والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه لا لإظهار قوة النفس.
الثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله و أحكامه ، سائرًا بسيرها .

والشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر ، فإن يعقوب عليه السلام قال:
{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ } [يوسف: 86]. إنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله.

9 - قبول النصيحة:

فهذا مما يعين على اكتساب الأخلاق الفاضلة، ومما يبعث على التخلي عن الأخلاق الساقطة، فعلى من نُصِحَ أن يتقبل النصح، وأن يأخذ به وينبغي للنصيحة ان تكون على انفراد حتى لا تؤذي ، قال الإمام الشافعي رحمه الله:

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي ... وَجَبَّنِي النُّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
فَإِنَّ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ... فَلَا تَجْزَعُ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ

10- مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة:

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ؛ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمَسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ: لَا يَعْذَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمَسْكِ إِذَا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ يَحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً".
قال ابن الجوزي: "ما رأيتُ أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإنَّ الطبع يسرق؛ فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم، فَنَزَّ عن عملِهِ".
قال العلماء: إنما سمي الصديق صديقًا لصدقه، والعدو عدوًا لعدوه عليك.